حركة عظيمة في عصرنا الاّ وكانت لها القدرة على ان تجنّد في خدمتها نوعاً من الجهود، جوهره الروح الدينية. لذلك، ليس استثناء ان تنمو هذه الروح في حالة الشعب الفلسطيني وهو يخوض صراعاً مصيرياً شاملاً استهدف أرضه، ووجوده، وذاته الحضارية، ومستقبل أجياله، بما يتجاوز فلسطين، أرضاً وشعباً، ليشمل خطره العالم الاسلامي بأسره. وهنا نكرر التأكيد ان «التوجّه الديني في الارض المحتلة قوي في السنوات الاخيرة لأسباب موضوعية متعدّدة، من بينها... حالة الاحباط التي عمّت في السنوات الاخيرة»(٩). وهو توّجه رأى محمد كيوان، احد مؤسسي حركة «ابناء البلد» الفلسطينية، انه انتقال جمعي في سياق تطوّر انتماء وهوية؛ اذ لاحظ ان ظاهرة التيارات الاسلامية قد «بدأت في أواخر السبعينات حيث جرت بعض الاحداث في المنطقة [زيارة السادات للقدس، وما تلاها من سلام بائس في كامب ديفيد، وانتصار الثورة الاسلامية في ايران]. في فترة ما قبل يونيو (حزيران) [١٩٦٧]، كان الاحساس في الارض المحتلة ١٩٤٨ [وكذلك في باقي فلسطين ومهاجر الفلسطينيين] قومياً عربياً؛ لكن، بعد ذلك، أصبحت الاتجاهات وطنية فلسطينية... ثمّ بعد ذلك، وفي ضوء ما تعرّضت له المقاومة الفلسطينية من مذابح ومجازر اتجه قطاع واسع من ابناء شعبنا الى القيادات الدينية»(١٠).

لقد سعت اسرائيل بدأب الى خلق تناقضات طائفية بين الفلسطينيين؛ كما مارست مساعي مماثلة في أقطار عربية عدّة، ممّا لم تعد تفاصيله سراً. وما جرى، ويجرى، في لبنان، ممّا بدأت فكرته اسرائيلياً، في العام ١٩٥٣، ليس المثال الوحيد وانْ كان الابرز. لكن النتيجة في ما يخص الفلسطينيين كانت مخيبة لآمال اسرائيل؛ وسوف تظل هكذا، في رأينا. فاضافة الى العامل التاريخي، حصّنت التجارب المريرة، على امتداد القرن العشرين، الفلسطينيين تجاه مثل تلك التناقضات الطائفية، وجعلتهم يزاوجون، على نحو واع، بين انتمائهم الديني وانتمائهم الوطني وايمانهم الشامل بأن الاسلام هو جوهر الذات الحضارية للمنطقة بأسرها في مواجهة الغزو والتغريب. واذ تستعصي بنية وشخصية المجتمع الفلسطيني على الانقسامات الطائفية التي عرفتها مجتمعات أخرى، فان الحركات الاسلامية الفلسطينية، اذا شدّدت من حرصها على التقدّم في خوض الصراع بعقلية تجديدية تنتمي الى المستقبل، كما هو الاسلام في حقيقته وجوهره، وليس فقط الى عصرنا الراهن، لن تحافظ فقط على مجتمعها الفلسطيني موحّداً، وانما سوف تستقطب العديد من المسلمين على امتداد العالم، متجاوزين كل العوائق والأطر التي تحول دون زج طاقاتهم في الصراع ضد الغزو الصهيوني والقوى التي تتبنّاه وتحميه.

الى هذا، وعلى الرغم من أن ما عرضناه يتضمّن اجابات عمّا طرحناه من اسئلة حول الحركات الاسلامية في فلسطين، نعود ونلخّص هذه الاجابات الأولية:

اولاً: ليست الحركات الاسلامية الفلسطينية امتداداً ميكانيكياً للحركات المماثلة في الاقطار المجاورة، وان تشابهت بعض العوامل والظروف التي حكمت قيام هذه وتلك. ولعل الحركات الاسلامية الفلسطينية، بحكم ظروفها الموضوعية والخبرة الغنية لشعبها والتجارب المأساوية الدامية التي صقلته، أكثر اقتراباً من سواها في المنطقة من القدرة على تصحيح الخلل الذي عانى منه الاطار القومي حين تحاشى اعطاء جوهر الذات الحضارية للأمة، وهو الاسلام، حقه وموقعه الطبيعي في السعي الى الانطلاق الحضاري المعاصر، وحين لم تنسجم ممارساته عملياً مع حقيقة ان فلسطين وتحريرها مركز هذا الانطلاق ومحوره، وانْ كل مركز آخر افتعال غير مجد.

ثانياً: ان الحركات الاسلامية الفلسطينية، اذ تمارس المقاومة اليومية عملياً ضد